شارع النجفي
وانقراض الكتاب في الموصل

نوزت شمدين

كان شارع النجفي والى زمن قريب واحداً من أهم الرموز الثقافية لمدينة الموصل ومعلماً مهماً من معالمها ، إذ اشتهر هذا الشارع الذي يربط باب الطوب بسوقي الشعارين والسرجخانة ومنذ بدايات القرن الماضي كسوق متخصصة في بيع الكتب وإعارتها وتصحيفها ، يلتقي فيه المثقفون من أدباء وصحفيين وباحثين وفنانين ، فيجتمعون في مكتباته الكثيرة أو يتحلقون حول (بسطيات) الكتب في مدخل السوق خصوصاً في أيام الجمع والعطل فيبدو الأمر وكأنه مهرجان أو احتفالية ثقافية بدعوة عامة. اليوم والنجفي يقترب من مئويته لا يمكن العثور بسهولة على ملامحه القديمة التي تغيرت بفعل الحصارات والحروب ، وهجرة الكتب لرفوفها بعد أن تخلى المثقفون لضيق ذات اليد عن إدمانهم العتيق في اقتناء الكتب ، فتحولت مكتبات الشارع إلى محال للصاغة والعطور والقرطاسية والكرزات والحلويات واللحم بعجين !.

شارع النجفي بين الحاضر والماضي

كان لابد لنا من مرشد نستعين بذاكرته أو رؤيته في مسح الغبار عن صورة شارع النجفي القديمة، فوجدنا في قيصرية (الشبخون) ضالتنا وهو الأستاذ الكاتب (شريف هزاع شريف) صاحب مكتب الرواق للاستنساخ، سألناه عن سر تسمية (النجفي) التي أكتسبها هذا الشارع، وأسباب تحوله إلى نشاط بعيد كل البعد عما عرف به في السابق؟.

- سمي الشارع باسم النجفي نسبة إلى عائلة ال (أنجيفي) التي كانت تملكه ومازالت تحتفظ بملكية الكثير من محاله، وهي عائلة موصلية عريقة ذكر لي والدي أنها كانت تعمل في بيع نوع من الخيوط يطلق عليه (النجيفيات) وهكذا فهي قد استمدت أسمها من مهنتها شأنها في ذلك شأن العديد من العائلات الموصلية العريقة كعوائل (البزاز، والصابونجي، والديوجي) وغيرها. ثم وبمرور الأيام تحول أسم العائلة والشارع إلى النجفي للتخفيف ليس الا. كبار السن يتذكرون شارع النجفي سوقاً عامرة بالمكتبات، ونحن من بعدهم وجدناه كذلك ولغاية التسعينيات من القرن الماضي، أما في هذه الأيام فلم يبق سوى عدد قليل جدا من المكتبات وهي تلك التي قاومت الظروف والمتغيرات وظلت صامدة في الأزقة الفرعية لأن الكساد الذي أصاب الكتاب وارتفاع بدلات الإيجار دفعت البقية الباقية في الشارع الرئيس إلى تبديل نشاطها من بيع الكتب إلى بضائع أخرى أكثر فائدة في الأقل بالنسبة لأصحابها. وكما ترى مكتبي الصغير هذا فلقد كان قبل عام ١٩٩٩ مكتبة الرواق وكنت أبيع فيها الكتب واقوم بتصحيفها وكان أصدقائي من الكتاب والأدباء يترددون هنا ويمتلىء المكان بهم صخبا وهم يتبادلون حواراتهم الثقافية وقفشاتهم اللاذعة، أما اليوم وبسبب من الأوضاع الاقتصادية وأسباب أخرى عديدة فهأنذا بمفردي مع ذكرياتي الغابرة وأمامي جهاز (استنساخ) جامد لا يحس بشيء.

عصافير إلكترونية

بمصاحبة الأستاذ شريف بدأنا جولتنا في مدخل السوق من جهته الشرقية حيث باعة الرصيف الذين ظلوا أوفياء لمهنة بيع الكتب وان اختلفت نوعية البعض منها عما كانوا يبيعونه قبل سنين. التقينا السيد عبد الكريم وهو من قدامى بائعي الكتب في النجفي وسألناه عن الكتاب أو المطبوع الرائج هذه الأيام؟

-أكثر مبيعاتنا هذه الأيام هي من المطبوعات المتعلقة بالأجهزة التي غزت حياتنا بعد أحداث ٢٠٠٣، ومنها كتيبات الموبايل أو ما تعرف بالعصافير الإلكترونية، تحتوي معلومات عن هذه الأجهزة من نغمات أو ما شابه، والأخرى كراسات أو كتيبات الستلايت وتحوي هذه معلومات تفصيلية عن القنوات والأقمار وأرقام شفراتها السرية، ماعدا ذلك فأن الكتاب الديني بطبعاته الحديثة هو الرائج وبالرغم من جمالية أغلفته لكن نوعية الورق المستخدمة للمتن رديئة، ومع ذلك فأن زيادة الطلب عليه من قبل الناس يدفع التجار إلى استيراده بكميات كبيرة. أما الكتاب المتخصص في الأدب أو باقي الفروع فإننا نلاقي صعوبة كبيرة في بيعه لقلة الطلب عليه.

•هل من موسم محدد لبيع الكتب؟

- للكتاب كأي سلعة تجارية أخرى موسم يكثر فيه بيعه، ففي شهر رمضان المبارك مثلاً يزداد الطلب على الكتب الدينية، أما الموسم العام فهو الشتاء لأن الطلبة يرتادون السوق باحثين عن الكتب كمصادر لتقاريرهم، ولا يتوقف الأمر على طلبة الجامعات وحسب، وإنما على تلاميذ المدارس أيضاً، وكان لتوجيه مديرية تربية نينوى إلى المدارس في العام الماضي بإعادة إحياء مكتباتها أثر فاعل في تحريك سوق الكتاب إذ تعين على الطلاب رفد تلك المكتبات بكتاب أو أثنين ومع أن اقتناء الكتب من قبل الطلاب بمثل هذه الحالة كان كيفياً ولم يستند إلى معيار محدد لكنه عموما كان خطوة إيجابية في طريق أحياء الثقافة !.

عودة إلى ثقافة الاستنساخ

ونحن في طريقنا للدخول إلى شارع النجفي أخبرت صاحبي شريف أنني انتبهت إلى وجود كتب مستنسخة في (بسطة) محاورنا عبد الكريم وسألته إن كانت هذه عودة إلى ثقافة الاستنساخ التي سادت في فترة التسعينيات؟

❖ الكتب المنسوخة هي في الغالب عن كتب غالية الثمن أو قديمة أو نادرة، وخذ مثلا فان بعضا من عناوين الكتب كانت تباع في السابق بالدينار العراقي، أما الآن فهي تباع بالدولار، ولقد شاهدت بأم عيني كتبا تباع بأكثر من ٣٠٠ دولار وأخرى بمائة أو أقل حسب أهميتها، ومقتنيها في أكثر الأحيان كانوا من المتخصصين كأطباء الجراحة العامة أو العيون أو المهتمين بأجهزة الكومبيوتر وغيرهم، ولذلك يلجا بعض الباعة هنا إلى نسخ مثل هذه النوعيات من الكتب لكي تصبح أقل كلفة بالنسبة للمشتري. ولقد حدث قبل سنوات أن قام صاحب إحدى المكتبات بنسخ ٢٠٠٠ نسخة من كتاب المورد الذي كان سعر طبعته الأصلية في حينه يتراوح بين ٤٠ إلى ٤٥ ألف دينار وكان صعبا على الطلبة شراؤه، فقام بيعه بسعر ١٢٠٠٠ ألف دينار مقدماً بذلك خدمة كبيرة لشريحة واسعة من أبناء المدينة.

•ولكن أين حقوق الطبع، أليس هذا مخالفاً للقانون؟

- قد تكون هذه مخالفة قانونية أو حتى أخلاقية وأنا لست معها تماما، لكن مع مثالنا السابق فأن الاستنساخ كان هو الحل الوحيد لتمكين أكبر عدد من الطلاب من الحصول على الكتاب، وربما يكون صاحب الفكرة قد حصل على ربح وفير لكن مع ذلك فأن الطالب أيضاً قد حصل على مبتغاه، وإن لم تكن الطبعة البيروتية نفسها لكنها المادة نفسها.

الثقافة المستهلكة

في زقاق قصير يؤدي إلى شارع خالد بن الوليد، توقفنا عند مكتبة صغيرة عرضت في واجهتها كتب كانت ممنوعة من التداول قبل سنوات قليلة، وعدد كبير من الصحف والمجلات القديمة والحديثة بعضها لم يكن يصل بسبب الرقابة في الماضي والأخرى ظهرت بعد التغيرات التي طرأت على البلاد مؤخراً، سألت شريف وأنا أشير إلى كتاب (حرب الخليج) هل من محددات جديدة تقف في طريق تداول الكتاب الآن؟ وهل للانفتاح الحاصل الآن في العراق تأثير على الثقافة عموماً؟

•الحرية مطلقة الآن في تداول الكتاب ولم تعد هنالك محاذير أو خوف من شراء هذا الكتاب أو ذاك المطبوع أو الصحيفة ولا أعرف ماذا سيحدث بهذا الشأن في القريب العاجل، أما عن الانفتاح فأن البعض يعده على أنه أكبر انفتاح في العالم، فلقد داهمت وعلى حين غرة وسائل الاتصال والقنوات الفضائية والصحف الحرة حياة الإنسان العراقي، وبان تأثير ذلك جلياً في الصحافة، خصوصاً في الفترة ما بين عامي ٢٠٠٣ ونهاية عام ٢٠٠٤، ففي الموصل لوحدها صدرت أكثر من خمسين صحيفة، إضافة إلى الأخرى التي تصدر في أماكن أخرى من العراق وكانت تصل الى الموصل فيتلقفها الناس لأنهم كانوا تواقين لسد النقص الثقافي لديهم بعد أن كانت عقولهم محصورة في زاوية محددة من قبل توجه أو فكر بعينه، فسادت موجة أعتقد البعض خطأً أنها صحوة ثقافية في حين أنها كانت مجرد مرحلة استنفدت بعد أن قامت الصحف ومعها القنوات الفضائية التي كانت مصائبنا شغلها الشاغل بسد النقص الحاصل في ذاكرة الناس وعرضت عليهم كل ما خفي عنهم في العقود الماضية من أسرار الحرب العراقية الإيرانية وحرب الكويت مدعمة بالوثائق والاعترافات وغيرها من الأمور التي كانوا يجهلونها، وبعد مرور عام من ذلك وبعد أن أشبعت المنظومة الفكرية للناس عادت حليمة إلى عادتها القديمة وأصبحت الصحيفة أو الكتاب بالنسبة لعدد كبير من المواطنين مجرد سلعة كمالية، باستثناء البعض الذي حافظ على مرانه في اقتناء الصحف للقبض على معلومات تخص الرواتب أو الحصة التموينية أو الكهرباء والوقود أو التي تهم مستقبل البلد من تشكيل حكومة أو وضع دستور إلى آخره، ولقد اكتشف عدد من الصحف هذا الأمر فأصبحت تضخ مثل هذه الأمور للمحافظة على بقائها لا غير، وباتت تطرح ما يسمى بالثقافة المستهلكة التي لا تحتاج من قرائها إلى سعة من التفكير أو مستوى معين من الثقافة، أما الكتاب فبقي على حاله وأمسى الطلب عليه محصوراً بعدد قليل من المثقفين الذين مازالوا يكافحون من اجل النهوض بواقعهم.

•من هو القارئ الحالي إذن؟ وهل يعني اختفاء الكتاب عن شارع النجفي تراجعا للثقافة الموصلية؟

هم القراء القدامى أنفسهم لم يزد عددهم إلا في حدود ضيقة جدا. ومرتادو السوق الباحثون عن الكتب هم نفسهم الذين كنا نلتقي بهم هنا في الثمانينيات أو التسعينيات من القرن الماضي.

وبالتأكيد عندما تقل سلعة ما في السوق مع القدرة على توفيرها فذاك يعني بأن الطلب عليها قد قل بالمقابل، وهذا مؤشر خطير يدل بشكل واضح على تراجع كبير لثقافتنا، بمعنى آخر هو دليل على تخلفنا.

انقراض مهنة تصحيف الكتب

دخلنا في قيصرية الشبخون مجدداً حيث المكتبات المتخصصة في بيع الكتب الدينية ومكاتب الاستنساخ. روائح العطور تملأ المكان، لكنني لم أجد أثرا لمكاتب تصحيف الكتب التي كانت تعج بها القيصرية من قبل فعلل لي صديقي بحكم تجربته الطويلة سبب ذلك إلى اختفاء الكتاب القديم من التداول بالبيع والشراء أو بالإعارة، وساد بدلاً عنه الكتاب الحديث بطبعته، فظل القديم في مكتبات البيوت التي لم تفرط به خصوصاً بعد ارتفاع المستوى المعيشي للموظفين أو التعليميين وهم الشريحة الكبيرة من المثقفين، باستثناء حالات قليلة كأن لا يكون لصاحبها مورد ثابت يكفيه فيضطر مرغما إلى بيع كتبه، أو في حالة وفاته تقوم عائلته غير المعنية بالثقافة ببيع مكتبته، في هاتين الحالتين يعاود الكتاب القديم ظهوره في شارع النجفي فقط، وبذلك فان عدم التداول بالكتاب القديم وبقائها مركوناً على الرفوف يقلل بالنتيجة من استهلاكه أو إتلافه وبالتالي لن يكون هناك عمل يقوم به المصحفون ولذلك فهم أبدلوا نشاطهم أو غادروا السوق تماما.

دعوة لإحياء الثقافة

في ختام جولتنا القصيرة في النجفي عدنا إلى مكتب شريف فوجدنا هناك عددا من الأدباء ينتظرون للاستعانة بخبرة شريف المدربة للعثور على كتب في النقد والرواية، فوجدتها فرصة في مواصلة الحديث عن هموم الكتاب وبادرت لسؤال الكاتب موفق العساف عن الذي يمكن فعله من اجل إعادة البريق إلى سوق الكتاب في شارع النجفي؟

- في البداية عليك أن تذهب إلى صاحب المكتبة الذي حولها إلى محل لبيع الحلويات أو القرطاسية وتطلب منه إعادة المكان إلى سابق عهده، ومن المؤكد فأنه سيقول لك وهو محق في ذلك أن هناك جملة من الأمور ستقف في طريقه منها (أن تجارة بيع الكتب لن توفر علي حتى إيجار الدكان، وذلك بسبب عزوف الناس عن شراء الكتب وغياب القوانين التي تحمي المستأجر من جشع المؤجر الذي يرتفع دائما بإيجاره وفي كل الظروف).

أما إذا تجاوزنا هذا الأمر فلا بد من حملة كبيرة في المجتمع من اجل بناء جيل واع يهتم بتثقيف نفسه ولا ضير في أن يستمد ثقافته بالإضافة إلى الكتب من الانترنيت أو من سواها من الوسائل الأخرى ومن ثم بضخ كتب متنوعة وبأعداد كبيرة في السوق لكي يخرج الشارع من الطابع الذي أنغلق عليه من سنوات، فهو يعتبر الآن ولدى كثير من الناس شارعاً دينياً لأن أكثر من يرتادونه في الوقت الحالي هم من شيوخ المدارس الدينية أو الجوامع أو المهتمين بالجانب الديني وإن كان هذا الأمر إيجابيا لكن المطالبة تبقى بتوفر الكتاب الأدبي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي لكي تتنوع مصادر الثقافة.

الطبري.. الأسطورة والتاريخ

مهدي النجار

يحدد التاريخ عادة بأنه جملة المحاولات (أو التجارب) المفرحة أو المقرحة التي تحصل للناس العائشين في المجتمع، أو أنه: المحل الذي تنعكس فيه (أو تتحقق فيه) الفضائل أو النواقص المحددة في علم الأخلاق، والتي يؤدي تراكمها إلى توليد المدينة الفاضلة / أو الضالة، فالتاريخ مسرح للتجارب البشرية. وقد انقسمت صناعة التاريخ (أو علم التاريخ) في الساحة العربية الإسلامية إلى قسمين:

التاريخ العقائدي أو الأدبي: كان مختصاً بكتب الرجال وكتب السير أو بكتب طبقات العلماء (بالمعنى الديني للكلمة) وكتب الملل والنحل.

التاريخ الحدثي أو الوقائعي: كان مختصاً برواية الوقائع والأحداث سنة بعد سنة، وقد تفرع إلى عدة فروع: كتاريخ المدن، والمعارك، والسلالات المالكة، والتاريخ الكوني. أغلب هذا النوع من التاريخ يأخذ هيئة الحوليات التاريخية التي تحدد الأحداث المهمة التي جرت في كل عام وراء بعضها البعض، بحسب التسلسل الزمني المعروف للأحداث والسنوات.

يعتبر الشيخ الطبري (أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري ٨٣٨ - ٩٢٣ ميلادية) واحداً من أعمدة كتاب النوع الثاني من التاريخ، أي التاريخ الحدثي أو الوقائعي، ولا نبالغ إذا قلنا انه أهم وابرز من اشتغلوا في هذا المضمار ابتداء من القرون الوسطى وحتى يومنا هذا، فبحق يشكل كتابه (تاريخ الرسل والملوك) منظومة تاريخية قائمة بذاتها، ولا نعرف للطبري في هذا المجال غير كتابه هذا المهم جداً من ناحية الحجم كما من ناحية المضمون. سوف ندلي حوله بالملاحظات التالية:

أولاً: إن العنوان الكامل لهذا الكتاب هو (تاريخ الرسل والملوك)، وفي بعض الطبعات (تاريخ الأمم والملوك). يتكون الكتاب من ثلاثة عشر جزءاً وحسب علمنا كما جاء في (المنجد في اللغة) الصادر عن دار المشرق. بيروت. كانت طبعة كتاب (تاريخ الرسل والملوك) الأولى في ليدن (١٨٧٦ - ١٩٠١) ونشرته عدة دور منها دار جهان. طهران ودار القلم. بيروت وهما الداران اللذان نعتمد طبعتيهما دائماً.

ثانياً: يمكن القول إن (تاريخ الرسل والملوك) تاريخ كوني يسرد الأحداث والوقائع ابتداء من تكون البشرية وحتى نهاية ٣٠٢ هجرية (٩١٥ ميلادية) وهي فترة خلافة المقتدر بالله (عمره ١٣ سنة) وفي الفترة نفسها قتل سعيد الجنابي صاحب القرامطة بناحية البحرين وهاجر. وبهذا المعنى يشير الطبري نفسه إلى حدود كتابه: (وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من ابتداء ربنا جل وجلاله خلق خلقه إلى حال قيامهم من انتهى الينا خبره) ج١ ص, ٤

ثالثاً: ينبغي أن نكون متسامحين مع الطبري (وغيره من اشياخنا المثقفين) وإن نغض الطرف عن كل ما هو مضطرب وسطحي في تصوراتهم عن نشوء الخلق وعن الحياة والكون والإنسان وخاصة عن الزمان الذي يبدو لنا أكثر اضطراباً وسطحية إذا ما قارناه بحسب المعطيات المعرفية المعاصرة، نغض الطرف لأن ما كان بإمكانهم ان يتجاوزوا إمكانيات عصرهم، فعلى سبيل المثال يحدد الطبري الزمان من ابتدائه إلى آخره بسبعة آلاف سنة. يقول: (خلق الله جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم سبعة آلاف سنة. خلا من الدنيا خمسة آلاف وستمائه سنة، والباقي أربعمائة سنة) هذا الكلام قيل قبل ألف سنة تقريباً، أي نحن الآن نعيش في الزمن الضائع حسب تصورات شيخنا الطبري في حين تقول المعرفيات المعاصرة إن تدهور الدينصور وزواله يقدر قبل سبعة ملايين سنة خلت وارجعت قياسات الطبقات حاملة الأحافير عمر الحياة إلى ما قبل خمسمائة وسبعين مليون سنة (ينظر: نشأة الحياة على كوكب الأرض. ويليمام داي) لنقرأ كذلك هذه النتف من الأسطرات حول المخلوق البشري الأول آدم عليه السلام (ح١ ص٦٠ وما بعدها): خلق آدم يوم الجمعة وأهبط بالهند / كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض / كان آدم يعرف الشعر ويتكلم اللغة العربية / عمر آدم ألف سنة / حواء ولدت مائة وعشرين ولداً / عند خلق آدم أخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وخلطها فلذلك خرج بنو آدم مختلفين.

وعن الشمس يتحدث الطبري بهذه اللغة الأسطورية العذبة، المطمئنة: (تغرب الشمس في السماء ثم ترتفع من سماء إلى سماء حتى ترتفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخر ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ثم تقول يا رب من اين تأمرني أن أطلع، أمن مغربي أم من مطلعي.. فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم ينطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها) ح١ ص٤٣ .

هل سيصدق الشيخ الطبري (ومعاصروه) إن الأرض تتحرك (٣٠ كم/ثانية) وهي التي تدور حول الشمس وليس العكس وما هي إلا كوكب صغير جداً من كواكب الكون ومجراته التي لا تحصى، وهل سيصدق إن أقدام الإنسان وطأت أرض القمر؟! حقيقة الأمر إن البشر ليسوا هم الذين يخدعون أنفسهم بهذه التصورات الخاطئة إنما الواقع هو الذي يخدعهم، كذلك إمكانات زمنهم وتقنياته هي التي تحدد إمكاناتهم التصورية.

من الملفت للنظر إن الشيخ الطبري لكي يدعم تنضيده الأسطوري ذاك يؤوله إلى مرجعيات قدسية كالقول القرآني أو القول النبوي وبذا يكسب بهذا التدعيم أمر التصديق بما يقول من جهة والحظر على التبصر فيما يسرد أو التساؤل عما يقول.

رابعاً: إن الطبري يبرع حقاً في الاستيلاء على أساطير الآخرين ورواياتهم، إنه يصهرها بأسلوبه فتبدو كأنها له. عجيب هذا الشيخ، كم ذاكرته قوية، عنده متعة بإيراد الاستشهادات والوقائع إلى ما لا نهاية، فيه وسواس ذكر الخوارق والمعجزات، مأخوذاً بهوس السرد دون اعتبارات للعقل أو تقديم الحجج على ما يقوله، أي لا يعتمد اللغة العقلانية والمنطقية القائمة على الحاجة والبرهان: (وليعلم الناظر في كتابنا هذا إن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي مسندها إلى رواتها. دون ما أدرك حجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه) ح١ ص, ٤

إن التاريخ الأسطوري، أو التاريخ الذي يستخدم مواد أسطورية ويستعيدها لغاية غير التي وضعت لها في الأصل تلك المواد يكاد يستحوذ بشكل واسع على جميع كتب التاريخ التقليدية في السياق العربي الإسلامي، وما ينفك كاتب التاريخ آنذاك بمن فيهم شيخنا الطبري أو حتى ابن خلدون (الأكثر عقلانية) ينسق الأساطير ويعيد تنسيقها بلا ملل كي يكتشف لها معنى أو يستجلي منها عبرة (بحسب اللغة الكلاسيكية) فالعبرة (هي بالضبط ذلك الدرس الذي ينبغي على الإنسان العاقل أن يستخلصه من سلوك البشر وأحداث التاريخ) حتى لو كانت هذه الأحداث (أو الشخصيات) لا تاريخية وغير منضبطة في المشروطية الاجتماعية. إن الملاحظة المهمة التي يمكن تسجيلها من خلال قراءة وقائع واحداث هذا الكتاب الضخم، كتاب (تاريخ الرسل والملوك) هي تناغم عنوانه مع محتوياته بشكل ساطع ومنحاز، انحيازه الكامل للسلطة الرسمية منذ نشوئها وتبلورها وتكامل أدوات هيمنتها، بمعنى آخر هو فعلاً تاريخ للسلطة في السياق العربي الإسلامي، تاريخ تبرير وتبجيل لإضفاء الحق على مشروعيتها التقليدية، السلطة بكل مكوناتها، بقصورها وجيوشها وبلاطاتها وجواريها وإمائها، مقابل هذا هو تاريخ طرد فاضح لتاريخ العامة (أو الشعب بلغتنا المعاصرة) بل هو غلو في طمس معالم حركاتهم وتطلعاتهم وتشويه باكبر قدر من الأثباتات المزورة ورميهم بأبشع النعوت وأكثرها تبخيساً: ألغوغاء، الرعاع، الدهماء، السوداء. بجانب ذلك نلاحظ الغياب التام لمعنى التسامح في لغة تاريخ الطبري ونمط تفكيره (وهذا ينسحب على أغلب كتب التاريخ التقليدية. فترة القرون الوسطى) بمعنى آخر لم يخطر ببال الطبري ما نسميه اليوم بحقوق الإنسان.

لا ريب، من أجل أن تصحح مسارات التاريخ كي يأخذ بنا إلى الأمام، اسوة بالعالم، وليس العكس يقذف بنا إلى الخلف، إلى الأزمنة السحيقة والتصورات البدائية، ينبغي الاشتغال على المواد الخام لهذه المدونات الضخمة بعقلية تفحصية ونقدية تمتلك جرأة وتمتلك المواد وتنقيتها من شوائب لا حصر لها ولا عد والأهم من ذلك من ينبغي أن ننقح تنقيحاً كلياً الفكرة التي كونها الناس عن التاريخ، الفكرة القائلة بأن التاريخ ليس صناعة البشر، عندما تصحح الفكرة عكس ذلك باعتبار التاريخ من صناعة البشر وليس من صناعة أي شيء آخر، بذا حقاً تتحول كتابة التاريخ من اجل العبرة والدرس.